

مركزات بناء الدولة في الفكر الخلدوني - قراءة في الحالة الليبية -

**Foundations of State Building in Khaldunian Thought
- A Study of the Libyan Case -**حنان بن عبد الرزاق¹¹ جامعة محمد خيضر بسكرة ، hananebenabdrrezak@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2024/08/03

تاريخ القبول: 2024/10/03

تاريخ النشر: 2024/10/15

ملخص:

يعتبر "ابن خلدون" أن المجتمعات الإنسانية جماعات سياسية في شكل دول يرتبط فيها التنظيم السياسي بالخصائص الجغرافية لتلك الجماعات و الاقتصاد و درجة العمران و أخيرا درجة العصبية . و تقتزن بذلك مراحل تطور الدولة الثلاث (البداوة ، التحضر ، الفشل و الانهيار) بمركزين أساسيين هما : العصبية و الترف الاقتصادي . و هما يسهمان في تطور الدولة و تحضرها ، كما أنهما يقودانها إلى الانهيار أي أنهما سلاح ذو حدين ؛ أما العصبية فهي ضرب من الحماس الشديد الذي يدعو إلى العلو و الاستمساك برأي ، و يظهر في المواقف الوطنية و الآراء الدينية فيحصل التعاضد، و هي تُسهم في تضاعف الالتفاف حول الملك (الرئيس)، و يُفَعِّل الأمر العامل الاقتصادي الذي به تشيد المدن و يستثمر المال . في حين تنهار الدولة بمجرد تفكك العصبية و فقد ثقة الشعب بالرئيس ، نتيجة اكتنازه للثروات و الاستئثار بها في ظل تدهور أحوال الرعية . إن الأمر يمكن إسقاطه على الوضع في ليبيا ، الدولة العربية التي تتسم بسيطرة النظام القبلي و انتشار منطق العصبية، و في ظل الترف الاقتصادي ، و سوء تفعيله . أدى إلى انهيار الدولة .

كلمات مفتاحية: الدولة ، العصبية ، عمر الدولة ، الترف الاقتصادي - ليبيا.

Abstract:

Ibn Khaldun considers human societies as political groups in the form of states where political organization is linked to the geographical characteristics of those groups, the economy, the level of urbanization, and

finally, the degree of 'asabiyyah' (group solidarity). These are associated with three stages of state development (nomadism, urbanization, failure, and collapse) based on two main pillars: 'asabiyyah' and economic luxury. Both contribute to the development and urbanization of the state but also lead it to collapse, acting as a double-edged sword. 'Asabiyyah' refers to a type of intense enthusiasm that promotes supremacy and adherence to opinion manifested in national stances and religious views, fostering mutual support. It plays a role in rallying support around the ruler (the president). It activates the economic factor that builds cities and invests capital. Meanwhile, the state collapses once 'asabiyyah' disintegrates and the public loses trust in the president, due to his hoarding of wealth and monopolization in the face of deteriorating conditions of the subjects. This situation can be applied to Libya, an Arab state characterized by tribal regime dominance and widespread 'asabiyyah', where economic luxury, poorly leveraged, has led to the collapse of the state.

Keywords:.

State, 'Asabiyyah', State Age, Economic Luxury - Libya

المؤلف المرسل: حنان بن عبد الرزاق ، hananebenabdrrezak@univ-biskra.dz

مقدمة:

مزج المنطق الخلدوني بين النظرة العقلية التعميمية للفلسفة و واقعية التاريخ ، حيث لم يتناول أحوال الدول في سكوتها ، و إنما في ديمومتها و ديناميكيته ، معتبرا أنها مجتمعات إنسانية تضم جماعات سياسية يرتبط فيها التنظيم بالخصائص الجغرافية و الاقتصاد و درجة العمران ، و التي من خلالها نستشف عمر الدولة .

لقد أكد ابن خلدون من خلال نظرية العصبية ، فكرة ثبين الأسس التي تقوم على إثرها الدولة (الحضارة) ، والتي تحدد في نظره شكل العمران و تجسم حركة التاريخ .

تعتبر ليبيا من أبرز الدول العربية التي يتجلى فيها الطابع القبلي منذ الإستقلال ، و بالرغم من تبني جملة من السياسات لإحتواء التنوع القبلي ، و لكن الواقع الليبي ما بعد 2011 تعقد أكثر. و عليه سوف يتم رصد الحالة الليبية مع تبيان مركزات بناء الدولة و انهيارها من منظور ابن خلدون .

الإشكالية: بناء على ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

- كيف يمكن تفسير بناء الدولة (الحالة الليبية) وفقا للمركزات الفكرية لابن خلدون ؟

الفرضيات: و للإجابة المبدئية على الإشكالية تمت صياغة الفرضيات التالية :

- اعتبر ابن خلدون أن للدولة عمر مثل الكائن الحي .

- تتطور و تنهار الدولة بعاملين أساسيين هما العصبية و الترف الاقتصادي .

- تُعبر الحالة الليبية المنهارة عن انقسام في العصبية القبلية و سوء استغلال الموارد الاقتصادية .

منهجية الدراسة : لتفسير موضوع الدراسة تم الاعتماد على مستوى التحليل من خلال تفكيك منطق

ابن خلدون حول المركزات التي من خلالها يمكن بناء الدولة و بما قد تنهار كذلك ، مع تقديم فكرة لأبرز السياسات المنتهجة لاحتواء التعدد القبلي من قبل الرئيس القذافي سابقا ، و من ثم تسليط الضوء على الانشطار و اللا استقرار الذي تعيشه ليبيا منذ 2011 .

أولاً: مفهوم الدولة و العصبية من منظور بن خلدون

1. مفهوم الدولة:

أ- تعريف الدولة : تُعرّف الدولة عند بن خلدون بأنها : " الامتداد المكاني و الزماني لحكم عصبية ماء، و من هنا يمكن تصنيف آرائه إلى قسمين: ما يتناول امتداد الدولة في المكان، أي مدى نفوذها و اتساع رقعتها، و ما يتناول استمرارها في الزمان أي مختلف المراحل التي اجتازها حكم العصبية الحاكمة من يوم استلامها السلطة إلى يوم خروجها من يدها"¹.

فمن حيث الامتداد في المكان، يتوقف مدى نفوذ الدولة و اتساع رقعتها على حال عصبيتها من جهة و حال العصبية في المناطق التي تحكمها أو التي تريد بسط نفوذها عليها، فإذا كانت عصبية الدولة شديدة الالتحام و القائمون بها كثيرون العدد وكانت العصبية التي يريدون استتباعها أو إخضاعها ضعيفة، لقلة عددها أو لعدم إلتحامها فإن مُلكهم سيكون أكثر اتساعا و سلطتهم أقوى نفوذاً ، و أما إذا حصل العكس بأن كانت عصبية الدولة ضعيفة و العصبية الأخرى المناوئة لها قوية، فإن رقعة الدولة حينئذ ستبقى ضيقة و نفوذها في الغالب ينحصر في مركزها².

- ب - عوامل تقدم الدولة :** يرى ابن خلدون أن تقدم الدولة مرهون بثلاثة نقاط هي :
- **مزايا الأرض:** من حيث اعتبارها مصدراً للإنتاج، و بهذا فالحضارة ما هي إلا ثمرة عمل منظم و متواصل للنشاط البشري المتنوع لاستثمار تلك الأرض.
- **مزايا الحكومة:** من حيث اعتبارها المسؤولة عن حماية السكان فإنها يجب أن تتوفر على عنصر القوة لضمانة سكانها، و العدالة لتشجيعهم على الإنتاج، و الكرم للمحافظة على أملاك أفرادها وذلك لأن غنى الحكومة يدل على ازدهار الحضارة.
- **كثرة السكان:** لأن الحضارة لا تقوم إلا في مجتمعات قادرة على تنظيم حياة أفرادها من خلال تنسيق جهودهم، و توزيع العمل بينهم، مما يزيد من ثمار جهدهم الذي يستهلون بعضه و البعض الآخر يستثمرونه في الترف و مظاهر التحضر³.

2. تعريف العصبية :

لغة : العصبية كلمة مشتقة من الجذر أو الأصل العربي عصب أو عصابة ؛ أي ربط الأفراد بجماعة معينة.

و من ضمن الترجمات الموجودة لمصطلح العصبية نذكر : "روح الجماعة " ، "الشعور القبلي " ، "روح القبيلة " ، "الإخلاص القبلي " ، "الشعور بالوحدة " ، "حاسة التضامن " ...

العصبية إذا : "رابطة اجتماعية يمكن بواسطتها قياس قوة و تماسك و ثبات الجماعات الاجتماعية ، ويمكن تشبيهها بألياف عضلات جسم الإنسان التي تصون تماسك اللحم و العظام ، غير أن هذا التماسك (العصبية) لا يعتمد على علاقات الدم⁴.

وهي تعني اصطلاحاً: (ضرب من الحماس الشديد الذي يدعو الرجل إلى العلو والاستمسك برأي أو إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا مظلومين)⁵.

وتعرف كذلك بأنها: " موقف معين، وله مظاهر مختلفة وأوضح ما يكون في المواقف الوطنية والآراء الدينية " .

تُعرّف أيضاً العصبية، وفقاً لابن خلدون، بأنها: "الرابط الذي يوحد أعضاء مجموعة معينة، ويجعلهم متضامنين، وهي أيضاً القوة الاجتماعية الناتجة عن ذلك. يمكن أن تنشأ هذه العصبية من

روابط اجتماعية طبيعية مثل الروابط العائلية أو روابط الولاء، أو من روابط مصطنعة. كما يمكن أن تنشأ العصبية من التزام بقيم ومثل عليا مشتركة، سواء كانت دينية أو غير ذلك، مما يعزز الوحدة والتماسك داخل مجموعة أو مجتمع"⁶.

ثانيا: مراحل تطور الدولة عند ابن خلدون

تحتاز الدولة ثلاثة أطوار رئيسية، طور التأسيس و البناء و طور العظمة و المجد و طور الهرم و الاضمحلال، و لكل طور من هذه الأطوار : خصائص و مميزات سنحاول اكتشاف العوامل التي تتحكم فيها:

1- طور التأسيس و البناء: بداية يقدم ابن خلدون ابن خلدون في تقديره، فكرة عن الميل الطبيعي للإنسان نحو التواصل والتفاعل الاجتماعي. كما يرى أيضا أن الطبيعة تقود الإنسان إلى التفكك والانقسام، ويعتقد أن السلوكيات العدوانية والأهواء غير الاجتماعية التي يظهرها الإنسان هي جزء من طبيعته الأساسية⁷.

يتميز الطور الأول من أطوار الدولة بخصائص و مميزات معينة نذكر أهمها فيما يلي:

أ - استمرار العصبية: أي سيطرة الأنا العصبي على الأنا الفردي داخل العصبية التي استلمت الحكم و السلطة، و هكذا فالعلاقات السائدة داخل العصبية الحاكمة في هذا الطور تقوم على أساس الديمقراطية القبلية أو ما يسميه بن خلدون بالمساهمة و المشاركة.

ب- علاقة الدولة برعيتها من جنس علاقات أفرادها بعضهم مع بعض: أي أنه إذا كانت العلاقات القائمة بين أهل الدولة، أفراد العصبية الحاكمة هي علاقات مشاركة و مساهمة فإن علاقتها مع أهل العصبيات الذين أصبحوا تحت سلطتها هي أيما علاقات تتسم بكثير من الرفق و التسامح⁸.

ج - الترف الاقتصادي : يقتزن الترف لدى " ابن خلدون " بشكل كبير بالعامل الاقتصادي، و يعني به: " أسلوب الحياة الراقي و الوصول إلى منتهى العمران و أرقى مظاهر التحضر ". كما أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها، ذلك أنه إذا حصل الملك و الترف و كثر التناسل تقوى العصبية⁹.

يقتضي كذلك العامل الاقتصادي (الترف) نزوع الملك إلى رقة الأحوال في المطعم و الملبس و الفرش ، حيث تشهد المباني الحافلة و الصنائع العظيمة و الأمصار المتسعة و الهياكل المرتفعة مع التوسعة في الهبات، و أدوار الأرزاق على الجند، كما يزيد الانغماس في الترف و النعيم لا من جانب السلطان بل إلى جانب الرعية ، إنطلاقاً من فكرة أن الناس على دين ملوكهم فتكثر بذلك الحاجات و الإنفاق، و في المقابل تزداد الجباية " المكوس " التي يفرضها الملوك على الرعية. و لا يزال، ابن خلدون يواصل، بقوله أن الإعمار في نقص الترف في ازدياد حتى ينقص العمران و يعود و بال ذلك على الدولة"¹⁰.

2- طور العظمة و المجد: يرى ابن خلدون أن قوة العصبية الصاعدة بين أفراد البداوة ستؤدي بالضرورة إلى تشكيل تضامن شديد الرسوخ ، و تضاعف الالتفاف حول الملك . و من هذا المنطلق تقاد الدولة إلى طور قوتها تستظهر بها على أعدائها في مقابل مشاركتها في النعم حتى تذهب عنهم خشونة البداوة .

كما أن التمسك الشديد و الإيمان بالدين أو المذهب يسهم في تحقيق غايات الأفراد ، كما يذهب التنافس و يزيل الاختلاف ، فيحصل بهذا التعاضد . وفي المقابل تكون الدولة المغلوبة في طور هرمها نتيجة فتور الإيمان في نفوس أهلها ، و يتخاذلون عن الدفاع عنها حرصاً على الحياة ، و يزيد التباين الشديد في ضعف الحضارة و انخيارها نتيجة تلاشي التعصب و زواله بين الأفراد و يبرز بذلك دور نقاء الأجناس في تمتين أواصر التكافل داخل الدولة الواحدة .

يشير كذلك " ابن خلدون" إلى أن العامل الاقتصادي يسهم في تحسين وسائل العيش فتشيد المدن و يستثمر المال و القوى العاملة في كل المجالات : زراعة ، صناعة و تجارة ... حيث لا يمكن إلا للملك تسخيرها¹¹ .

و عليه ، يتطلب تأسيس الدولة أيضاً وجود القوة، حيث تسهم الحياة المستقرة في تعزيز الرغبة في الحكم والسيطرة. هذه القوة الناتجة عن الاستقرار هي الأساس للفصل بين مفاهيم الدولة والمجتمع، حيث تعمل كعامل رئيسي في تحديد هيكل الحكم وتطور النظم السياسية والاجتماعية داخل الدولة¹².

و في هذا السياق ، يمكن رصد مجموعة مظاهر تميز هذه المرحلة ، نذكر أهمها :

- **الانتقال من البءاءة إلى الحضارة:** أي من حياة البساطة والاقتصار على الضروري من العيش في الغالب حياة الرفاهية والتفنن والترف.

- **ظهور المصالح الخاصة:** فالعصبية الحاكمة التي كانت بالأمس تقوم على أساس المشاركة والعمل للمصالح العام ، تنقلب إلى أرستقراطية حاكمة متنافسة فيتطور الأمر هكذا الاشتراك في المجد إلى الإنفراد به.

- **ءءول رئيس الأسرة المالكة في صراع مع عشيرته:** فيصبح أهل عصبية في حقيقة الأمر من بعض أعدائه، فيحتاج إلى أولياء آءرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم وهذا هو فساد العصبية التي كانت البناء الغالب عليها.

3- طور الهرم والاضمحلال: إن العصبية والمال هما الدعامتان الرئيسيتان اللتان عليهما يقوم كيان الدولة ، حيث تستطيع العصبية المائرة المطالبة وإحراز النصر وتأسيس الملك ، وبالمال تستطيع العصبية أن تبني مجدها.

والهرم إنما يصيب الدولة إذا أصاب إحدى هاتين الدعامتين، أو كلتاها ضعف أو خلل، إن هرم الدولة لا يعني اضمحلالها في الءين ويمكن تلخيص ذلك في هذا الصءء كما يلي:

- يكون صاحب الدولة في وضع يستغني فيه عن العصبية جملة ويعتمد على الانقياء والتسليم ويكفي صاحبها الإءراء على الحامية من جنءي ومرتزق، فتصبح الدولة بذلك عبارة عن سلطان ورعية لا غير.

- عندما تصاءف مرحلة هرم الدولة عصبية قوية تعمل على الاستيلاء على السلطة حينها تنشب حرب أهلية والنتيجة التي تفضي إليها هاته الحرب انقسام الدولة إلى دولتين أو أكثر.

وهناك حالة أخرى تصير إليها الدولة في أواخر أمرها وهي حالة انتقال السلطة الفعلية إلى بطانة صاحب الدولة من الموالي و المصطنعين و احتفاظه هو بالسلطة الاسمية فقط¹³.

و عليه يمكن القول ، أن فكرة "بن خلدون" في عمقها ، هي أن الدولة إنما تنشأ من أجل التعاون و حفظ النوع ، إنما ضرورة اجتماعية و في هذه الحالة نحن نقترّب كثيرا من نظرية العقد الاجتماعي ، كما أن الاستبداد و الانفراد بالمجد يعد أول العوامل التي تؤدي إلى ذلك المصير المحتوم و هو الهرم و الاضمحلال .

ثالثا : أسس بناء الدولة من منظور ابن خلدون

مما سبق قوله ، يمكن ضبط المرتكزات التي يرى ابن خلدون أنها تُسهم بشكل كبير في نمو و تطور و كذا اختيار الدولة - على ضوء تحديده لمراحل تطور الدولة - ، في عنصرين إثنيين هما :

1- العصبية و دورها في الرئاسة و الملك :

أ- مكانة العصبية : يقول ابن خلدون في المقدمة : " إنّ الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك ... و الملك غاية طبيعية للعصبية ، ليس وقوعه عنها باختيار ، إنما هو ضرورة الوجود و ترتيبه " ¹⁴ .

يشير ابن خلدون عند تعليقه لدور العصبية في الحفاظ على احترام القبيلة لشيخها و حتى الدولة (ملكها أو رئيسها) ، ثم السعي إلى تحقيق الدفاع و الهجوم . ففي ظل الشعور بالعصبية يزداد الخوف من الغرباء يتضاعف و التضامن ، الشهامة و الغيرة على الملك مما ينجم عنه السعي للتغلب و الحكم بالقهر من طرف الملك أو الرئيس ¹⁵ .

فالرياسة سلطة مختلفة ، فأن مارسها شيخ القبيلة فهي بحكم الأمر الواقع لا بحكم القانون و بإمكانها أن تُفضي إلى سيادة حقيقية تتماشى مع تطور العصبية ¹⁶ .

كما تحدّث " ابن خلدون عن دور الرئيس في الجماعة القبلية أو حتى الدولة المزودة بالعصبية : " ... فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصية ... و هذا التغلب هو الملك ، و هو أمر زائد على الرياسة ... فتصير كأنها عصبية واحدة كبرى " .

واضح هنا أننا إذا توسع آلي للعصبية الغالبية يتم بامتصاصها العصبيات الأخرى القريبة أولا ثم البعيدة ثانيا ، و ابن خلدون لا يرى أن هناك دافعا لهذا التوسع خارج العصبية نفسها ، فالعصبية بطبعها تسعى

إلى التغلب على العصبية الأخرى و إدراجها تحت لوائها . وكون الملك أو الرئيس أوسع نطاقا و قوة من الرئاسة المحدودة العصبية ، فالملك عصبته أوسع على الصعيد المكاني من رئاسة القبيلة¹⁷ .

و عليه يؤكد ابن خلدون على الحاجة الماسة للعصبية من أجل إقامة السلطة السياسية سواء داخل جماعة معينة أو في المجتمع ككل أو في الدولة ، و ذلك انطلاقا من نظرتة إلى دور العصبية كأصلح أداة يمكن الاعتماد عليها لفرض دعوة سياسية جديدة ، فإن فاعليتها تكون في أوضح صورها كلما اقتربت من مركز الجماعة أي الأسرة¹⁸ .

و بذلك ، تجمع العصبية - في هذا السياق - بين التنافس و الأفكار الدينية ، الخوف من الغرباء ، التشدد في القومية و تبرز بذلك العصبية كأساس قوة الدولة ، و لا تكون السياسة إلا في أهل أقوى العصابات ، و أنها تهدف إلى الملك و تنقل المجتمع من البداوة إلى التحضر ، يسعى في ظلها أهل العصبية إلى تقديم العون لصاحب الدولة في رياسته ، و حين يميل الملك إلى اتخاذ الموالي و الصنائع كبديل عن أهل عصبته . و من ثم تتم حركة التاريخ و يدل ذلك على بداية تدهور الدولة¹⁹ .

ب - فساد العصبية : يعد استظهار الملك (الرئيس) على أهل عصبته بالموالي و الصنائع عاملا من عوامل ضعف الدولة ، نتيجة لذلك خصص الملك مواليه بالترسيم ، من خلال تقليدهم المناصب العليا كالوزارة و القيادة و الجباية وهو ما يزيد من وهن الدولة إذ أنه إذا ذهب الأصل فكيف للفرع أن يستمر؟. وهذا ما أسماه "ابن خلدون" فساد الدولة والذي أرجعه إلى عدة أسباب منها: انعدام صلة الرحم بينه وبين أهل عصبته وانعدام الثقة بين الملك وعصبته. أضف إلى ذلك ضعف الحكومة وبالتالي قلة الحماية بالأطراف والثغور مما يؤدي إلى إغارة الخوارج على الدولة سواء من أعدائه أو من أهل عشيرته نتيجة استئثاره بالملك²⁰ .

و عليه يصنف ابن خلدون العوامل التي تعوق العصبية عن تحقيق غايتها و هي الملك ، إلى قسمين ، قسم يشمل فاعلية العصبية من البداية ، و قسم يفسرها في منتصف عمر الدولة .

و يشرح ذلك كما يلي :

أ - لا عصبية مع الخضوع و الانقياد : يقر ابن خلدون أن : " من عوائق الملك حصول المذلة للقبيلة و الانقياد إلى سواهم " و يشرح ذلك بكون : " المذلة و الانقياد كاسران لصورة العصبية و شدتها ، فإن انقيادهم و مذلتهم دليل على فقدانها ... حتى عجزوا عن المدافعة و من عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة و المطالبة . "

بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيؤكد : " أن الأمة إذا غلبت و صارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء . إنَّ العصبية إذا لا تشتد و لا تلعب دورها التاريخي إلا حيث يكون الناس أحرارا من كل سلطة خارجية . "

ب - لا عصبية بين الترف و النعيم : فهو العامل الذي يقف بها في منتصف الطريق و يعوقها عن بلوغ غايتها من الملك ، و هذا العامل هو ما يُعبّر عنه ابن خلدون بقوله : " حصول الترف أو انغماس القبيلة في النعيم " ، فالعصبية مرتبطة بهدف الحصول على مستوى أحسن من العيش و من ثمة تكون الغاية الحقيقية التي تصبو إليها العصبية ليس هي الملك في حد ذاته بل من أجل جمع الخيرات الدنيوية و الشهوات البدنية و الملذات النفسية .

كما أن عوارض الترف و الغرق في النعيم كاسر لصورة العصبية ، وتذهب خشونة البداوة و تضعف العصبية و البسالة و هذا يدل على أن العصبية مرتبطة من جهة أخرى بخشونة البداوة²¹ .

2 - دور العامل الاقتصادي : يشير ابن خلدون إلى أن الترف الاقتصادي يعد عاملا أساسيا في ازدهار الدولة ، حيث تتجلى مظاهر أخرى للتحضر تتمثل في الاستكثار من الموالى و الصنائع التي تعتبر من لوازم الترف ، كما أن مباني الدولة و هياكلها دليل واضح على قوتها و تحضرها .

في المقابل أشار ابن خلدون إلى أن للعوامل الاقتصادية دور في إضعاف الدولة و ذلك من خلال ميل الملك دائما إلى حياة الترف الذي هو عامل حاسم في ضعف الدولة بعد أن زاد من قوتها في أولها ، و ذلك باستحداث الملك (أو الرئيس) لقوانين الجباية و بالتالي ضعف الدولة . و قد لخص الفكرة ابن خلدون بقوله : " هكذا تذهب رؤوس الأموال و تكس الأسواق و تقل جباية السلطان و تفتقر الديار و تُخرب الأمصار " .

كما أن للتurf عواقب أخرى ينتج عنه فساد الخُلق و العكوف على الشهوات ، و هذا ما يدفع إلى القول بأن للعامل الأخلاقي دور في قوة الدولة²² .

4 - واقع الدولة الليبية وفقا الفكر الخلدوني

بالاعتماد على ما قدمه ابن خلدون عن مركزات بناء الدولة ، يمكن تفسير وضعية الدولة الليبية فيمايلي :

1- أن الامتداد المكاني لدولة ليبيا مرتبط بتوزيع القبائل ، و منه يرتبط المجتمع الليبي على المركب القبلي ، و لا تقوم القبيلة فيه على رابطة الدم فحسب ، بل هي مظلة اجتماعية تتعايش تحتها مختلف الأعراق و الجماعات (فقد تضم القبيلة الوحدة أفرادا من أصول : عربي، أمازيغي ، إفريقي . حيث توفر الأمن و الحماية لأفرادها . و هو ما يؤكد ابن خلدون ، حينما أشار إلى أنه ليس من الضروري أن تكون العصبية مبنية على علاقة الدم .

2- كون الرئاسة سلطة يمارسها شيخ القبيلة ، فإن الملك أو الرئيس يمارس سلطة أوسع نطاقا من الرئاسة - بحسب ابن خلدون - فالرئيس عصبية أوسع على الصعيد المكاني من رئاسة القبيلة ، و عليه سعى نظام معمر القذافي إلى تفعيل هذه الفكرة من خلال إنشاء "ميثاق الشرف" ، الذي وقعت عليه القيادة القبيلة في ليبيا ، و هو ميثاق تضامني مع السلطة الليبية الحاكمة ، و من بين القبائل الموقعة نذكر : القذاذفة ، الزاوية ، المقرية ، الطوارق ، الورفلة . مقابل استفادتها من مناصب قيادية هي الأخرى في النظام الليبي²³ .

كما تم في عام 1977 تشكيل ما يسمى بالنوادي القبلية ، التي تحدف إلى محاصرة المطالب المناطقية و المحلية الضيقة ، التي بتراكمها يمكن أن تتحول إلى حركات احتجاجية ، و كانت هذه النوادي تحدف إلى مراقبة تحركات الشبان في المناطق القبلية و اكتشاف بؤر التوتر الممكنة ، و هي نفس الأهداف التي وُضعت لتنظيمات " القيادات الشعبية و الاجتماعية ، و هياكل قبلية تتمثل وظيفتها في مراقبة المعارضات و مواجهتها .

3- من مظاهر فساد العصبية " الإستثار بالسلطة" : استأثر الرئيس الليبي معمر القذافي منذ توليه الحكم ، بأغلب المناصب القيادية في الدولة و التي شملت رئيس مجلس قيادة الثورة ، القائد الأعلى للقوات المسلحة و وزير الدفاع - رئيس مجلس الأمن القومي - رئيس مجلس القضاء الأعلى - رئيس مجلس التخطيط الأعلى - رئيس المجلس الأعلى للإرشاد القومي - رئيس الاتحاد الاشتراكي و قائدا للثورة (2011/1977)²⁴ .

4 - اكتناز الثروات و إهمال الرعاية من قبل الرئيس (أو الملك) : ففي ظل حكم القذافي تجلت مظاهر الترف الاقتصادي للرئيس و أقاربه و حاشيته - و هو حذر منه ابن خلدون - حيث يُقدر أن بعض

الاستثمارات الليبية لم يتم استثمارها باسم الدولة، رغم أنها اعتمدت على أموالها، وإنما استثمرت باسم القذافي وأفراد عائلته، وبعض أقاربه وأعوانه، وينطبق هذا على استثمارات الساعدي في إيطاليا، وسيف القذافي في بريطانيا وسويسرا وعدد من الدول الأوروبية الأخرى. كما ينطبق على استثمارات أحمد قذاف الدم في مصر وسوريا وبعض البلدان الإفريقية، مما سبب ذلك أزمة في السيولة النقدية في الدولة الليبية، وأضرّ بالإقتصاد الليبي وأثر على معيشة المواطنين في الدولة²⁵.

5 - بعد فساد العصبية و اكتناز الملك للثروة: يفقد ثقة الرعية و ولائهم فتحدث ثورة ضده ، لكن الذي يحذر منه ابن خلدون هو انقسام العصبية الواحدة إلى عصبيات متفرقة تطلب العون فيتم التدخل من الطرف الخارجي، و هو ما تجلّى في الوضع الليبي عقب سقوط نظام القذافي ، حينما قسمت إلى :
- **مجموعة غرب ليبيا (طرابلس وحلفاؤها):** مركزها طرابلس وتمثلها حكومة الوفاق المنبثقة من اتفاق الصخيرات برئاسة فائز السراج وتضم مجموعات مسلحة وميليشيات، وهي ترتبط بشبكة تحالفات قوية تصل إلى حد الدعم المباشر من جانب بعض الدول (قطر، تركيا).

- **مجموعة شرق ليبيا (طبرق):** يشكل الجيش الوطني الليبي الكيان الداخلي الأبرز في هذه المنطقة، ويقوده المشير خليفة حفتر، تأسس هذا الكيان عام 2014 تحت مظلة البرلمان الليبي ، وسيطر بشكل كبير على الشرق وبعض مناطق الجنوب والغرب الليبي، وتحظى بدعم قبلي ودعم دولي (مصر، الإمارات، فرنسا، روسيا).
بالإضافة إلى وجود أطراف غير محايدة²⁶.

دون إغفال التدخل العسكري لحلف الناتو سنة 2011 ، الذي استند لإضفاء شرعية عليه بعد القرارين اللذان قُدا من طرف الأمم المتحدة - و تحديدا مجلس الأمن - و هما القرار رقم 1970 و القرار رقم 1973 .
مع السماح باستخدام جميع الوسائل (بما فيها القوة العسكرية من طرف الدول الأعضاء لفرض احترام هذين القرارين²⁷ .

6- قادت الانقسامات إلى الفشل الدولاتي في ليبيا: خصوصا بين عامي 2014 / 2020، الذي تجلّى من خلال جملة من المظاهر نوردها في الآتي :

- ارتفاع حدة الصراع وفشل العملية السياسية، ما تسبب بإطالة أمد المرحلة الانتقالية.
- حالة الانقسام السياسي الذي أثر سلبا في الأداء الحكومي والذي بدوره تسبب بانقسامات في العديد من مؤسسات الدولة.

- الأوضاع الأمنية السيئة التي أتاحت للكيانات الموازية لمؤسسات الدولة، ومنها الميليشيات السيطرة والتحكم بهذه المؤسسات والتأثير في عملية صنع القرار فيها.
- تعدد الفاعلين الرسميين وغير الرسميين المحليين المؤثرين في الصراع وتعدد مصالحهم وأهدافهم ماساهم في إطالة أمد الصراع واتساع رقعة الحرب في ليبيا لتصل إلى العاصمة طرابلس في 4 أبريل 2019.
- فشل الفاعلين الدوليين في دعم العملية السلمية في ليبيا على رغم تعدد المبادرات الدولية والمباحثات بين أطراف الصراع المحليين، وبالتالي ارتفاع حدة الصراع وتوسع رقعته²⁸.
- نما سبق يمكن القول ، تحتاج ليبيا للخروج من أزمتها المتفاقمة إلى العودة إلى الوصفة التي قدمها ابن خلدون فيما يخص أسس بناء الدول التي تشمل : تأسيس عصبية جامعة تذوب فيها العصبية القبلية ، و التركيز على العامل الاقتصادي و الانتفاع به على مستوى الجميع ، دون تدخل أطراف خارجية .

الخاتمة:

- نخلص في ختام هذه الدراسة التي تناولت موضوعا بالغ الأهمية ، يتعلق بتحديد المرتكرات التي تسهم في بناء الدولة من منظور ابن خلدون ، حيث يمكن تحديدها في النقاط التالية:
- إن الدولة عند ابن خلدون هي الامتداد المكاني و الزماني لحكم عصبية ما ، أما من حيث الامتداد المكاني يتوقف نفوذ الدولة و اتساع رقعتها على حال عصبيتها . و من حيث استمرارها في الزمان فإن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص . وأنّ عمر الدولة وفقا لابن خلدون يشمل ثلاث مراحل هي : طور التأسيس ، طور العظمة ، طور الهرم و الانهيار .
 - تستند الدولة أثناء انتقالها من طور لآخر إلى مرتكرتين إثنين هما : العصبية و الترف الاقتصادي : أما الأولى فهي تعد أساس بناء الدولة و هي تشير إلى ضرب من الحماس الشديد يدعو إلى الاستمسك برأي موحد بين أعضاء الجماعة (قبيلة أو دولة) . و هي تسهم في توحيد الولاء لشيخ القبيلة (الرئاسة) ، و نقلها إلى الملك أو الرئيس الذي تعد عصبته أوسع على الصعيد المكاني من رئاسة القبيلة . و بالنسبة للترف الاقتصادي : يعد عاملا أساسيا في تحضر الدولة الذي تتجلى مظاهره في تشييد المدن و استثمار المال و الأدوات و القوى العاملة في كل المجالات : زراعة - صناعة - تجارة ... التي لا يمكن إلا للملك

تسخيرها . و لكن انخيار الدولة مرهون كذلك بالعصبية حينما تفسد العصبية و يتم استغلال و استئثار الثروات و الأملاك من قبل الملك أو الرئيس .

- إن الوضع الليبي يتضح بجلاء -عند إسقاط أفكار ابن خلدون- إن طرق جمع عصبية القبائل و إخضاعها بالقوة ، و مع الإستئثار بالموارد الاقتصادية من قبل نظام القذافي . أدى إلى نفور الرعية و سخطهم و الثورة ضده ، وقاد الدولة إلى التشرذم و العودة إلى منطق عصبية القبائل و إلى انقسامها إلى مجموعتين تهدف كل واحدة للوصول إلى السلطة عبر جمع ولاء القبائل و طلب العون من الأطراف الخارجية . بدل الالتفات نحو الداخل و إذابة العصبية المتفرقة إلى عصبية واحدة تُكن الولاء لوطن واحد (ليبيا) .

- التهميش:

¹ - مُجَّد عابد الجابري ؛ فكر بن خلدون العصبية و الدولة و معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي . (لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، (د، ت، ن)) . ص 211.

² - المرجع نفسه ، ص 212.

³ - مُجَّد عزيز نظمي ، جدلية التاريخ و الحضارة . (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1996) . ص 231.

⁴ - فؤاد البعلبي ، بن خلدون و علم الاجتماع الحديث . (سوريا : دار المدى للثقافة و النشر ، 1997) . ص 61- 63 .

⁵ - أحمد بن نعمان ؛ التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي : لماذا و كيف ؟ . (الجزائر : دار الأمة ، 1997) . ص 14.

⁶ -Cheddadi, A. La théorie de la civilisation d'Ibn Khaldûn est-elle universalisable?. Esprit, (2) 2009, , p 5.

⁷ -Orwin, A. Dawla and Leviathan: Ibn Khaldun and Hobbes in Defense of State.in:

[file:///C:/Users/Starter/Downloads/admin-003-1-d-72-102-1-rv-en-alexander-orwin-1%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/Starter/Downloads/admin-003-1-d-72-102-1-rv-en-alexander-orwin-1%20(1).pdf)

- ⁸ - محمد عابد الجابري ، ص ص 221 ، 223.
- ⁹ - حسن محمد الكحلاني ، فلسفة التقدم ، دراسة في اتجاهات التقدم و القوى الفاعلة في التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 2003) . ص 59
- ¹⁰ - محمد عزيز نظمي ، ص ص 227 ، 228.
- ¹¹ - المرجع نفسه ، ص 231.
- ¹² - Sulastri, N, The Concept of State and Government in Ibn Khaldun's Thought. International Journal of Nusantara Islam, 2019, p 146.
- ¹³ - محمد عابد الجابري ، ص ص 227 ، 229 .
- ¹⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون . (لبنان : دار الكتب العلمية ، (د ، ت ، ن)) . ص 159 .
- ¹⁵ - المرجع نفسه ، ص 167.
- ¹⁶ - عبد الغني مغربي ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون . تر: محمد الشريف بن دالي حسين . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986) . ص 155.
- ¹⁷ - محمد عابد الجابري ، ص 183 .
- ¹⁸ - محمد محمود ربيع ، النظرية السياسية لابن خلدون : دراسة مقارنة في النظريات الإسلامية و الفكر السياسي الإسلامي . (د، م، ن) : دار الهناء للطباعة ، 1981) . ص 90.
- ¹⁹ - محمد عزيز نظمي ، ص 227.
- ²⁰ - عبد الرحمن ابن خلدون ، ص 844.
- ²¹ - محمد عابد الجابري ، ص ص 184 ، 185.
- ²² - عبد الرحمن ابن خلدون ، ص 844.
- ²³ - بلال أوصيف ، " الصراع القبلي و إشكالية بناء الدولة في ليبيا بعد 2011 . أطروحة دكتوراه . (جامعة المسيلة : قسم العلوم السياسية ، 2020/2021) . ص 82.
- ²⁴ - أحمد الزروق أمجد الرشيد ، شكري عاشور رجب السويدي ، سعد أمجد الرشيد ، الاقتصاد السياسي للدولة الربية و مأزق الخيار الديمقراطي في ليبيا . مجلة مدارات سياسية . المجلد 4 ، العدد 2 (2020) . ص ص 97 ، 98.
- ²⁵ - أحمد همام محمد همام ، تأثير التدخلات الخارجية على مستقبل الاستقرار السياسي في ليبيا ، مجلة الدراسات السياسية والإقتصادية . (كلية السياسة والإقتصاد ، جامعة السويس . أكتوبر 2023) . ص 187.

²⁶ - المرجع نفسه . ص ص 184، 185.

²⁷ - المرجع نفسه . ص 185.

²⁸ - الأمم المتحدة ؛ دراسة تمهيدية عن الحوكمة و المؤسسات في ليبيا الواقع و التحديات و الآفاق . 2020 . ص 23. شوهده
في : 2024/08/02 . انظر :

<https://www.unescwa.org/sites/default/files/pubs/pdf/introductory-study-status-challenges-prospects-governance-institutions-libya-arabic.pdf>